الأثر المصـــرى
فى نهضتنا الأدبية الحاضرة
للأديب بشرى السيد أمين

قبل فتح السودان الأخير الذى تم للحكومتين المصرية والإنجليزية فى سنة ١٨٩٨ بقليل ، كان الأدب والعلم بمعناهما المعروف فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين محصورين فى فئة قليلة من الناس . فلما أراد الله ، ولا رادّ لإرادته ، وقضى ، ولا ناقض لما قضى ، أن يتم فتح السودان الأخير على المصريين والإنجليز ، كان ذلك غنماً لنا بدل أن يكون غرماً علينا ، وعاد علينا بأحسن الفوائد وأبركها بدل أن ينزل على رؤوسنا الويل والثبور وعظائم الأمور . وهذا من أعجب ما يبعث فى النفوس العجب ؛ إذ كان المنظور أن تأتى النتائج بعكس ذلك ؛ وهذا طبعاً لا ينفى القول الكريم بأن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها[1] وجعلوا أعزة أهلها أذلة . فانتشر العلم ، وذاع الأدب ، وشاع فى السواد الأعظم من شباب مدننا لكثرة ما أنشأ السادة الحاكمون من المدارس فى مدن السودان الكبيرة وعواصمه ، وما اهتموا به من شأن العلم والتعليم ، وما أنشأوا من صحف وطبعوا من كتب . هذا إلى جلبهم مطابع لهذا الغرض وفت به كل الوفاء ، وجعلت مدن السودان وأقاليمه القاصية ، مرتبطة بالدانية منها ، كالسلسلة الواحدة ، لا يفصمها إلا بُعد المسافة . وحتى هذه ذللت تذليلاً حال استقرار الحكم للمصريين والإنجليز بالبلاد ، بإنشاء الخطوط الحديدية العديدة فى كثير من أنحاء السودان

وقد تولى التعليم فى مدارس السودان أكفاء من خيرة الأساتذة المصريين ، المشهود لهم بالعلم الغزير والأدب الكثير ، فأداروه على خير الوجوه وأحسنها ، وتصرفوا فى شؤونه تصرفاً هو الغاية لمن يريد الإحسان ، فكان عهد المصريين الأول من خير العهود التى مرت بالسودان فى جميع أدواره الثقافية

وإنى لأذهب إلى القول الآن غير متحفظ أن نهضتنا الأدبية الحاضرة ما هى إلا وليدة تلك الروح العلمية الأدبية السامية التى سرت إلينا من إخواننا المصريين الذين تولوا تعليم ناشئتنا فى المدارس التى أنشأوها ، والتى وجهتنا بعد ذلك فأحسنت التوجيه

ولا يفوتنى أن أذكر - وأنا أكتب عن الأثر المصرى فى الأدب السودانى - ما للمحاضرات والمساجلات والمسامرات التى كان يتولى شؤونها أساطين البلاغة وجهابذة القول من المصريين فى مجتمعاتنا وأنديتنا الأدبية بمهارة لا يشركهم فيها غيرهم ، ولباقة لا يدانيهم فيها سواهم ، من أثر لا يمحى ، ولا زال واضح الصبغة ، مشرق اللون فى بعض أدبائنا على الخصوص ، وفى أدبنا على العموم

وفهمُنا للأدب ومعناه ، وللعلم وجدواه ، لا يعود الفضل فيهما إلا إلى الأساتذة المصريين الذين تولوا تربيتنا وتثقيفنا بصفة مباشرة ، أو غير مباشرة

فنحن مدينون لهم بالفضل ، ومقرون لهم بالجميل ، فلولاهم ، ومن يدرى ، لظللنا إلى الآن نسبح فى ظلامين دامسين من جهلنا ولوننا : ظلام جهلنا الذى لا زال يبدده هذا الصبح الواضح لذى عينين ، صبح العلم والمعرفة ؛ ونسأل الله أن يأتى على بقاياه فى زمن قريب . أما ظلام ألواننا ، فهو آية من آيات الله الشاهدة فينا بقدرته وإعجازه ، لأن الصبح بدل أن يجلوه يزيده إظلاماً !

إذا أضفت إلى ما تقدم شغف شبابنا المثقف بما تخرجه الصحف ، وتطلع به الكتب كل يوم من روائع الأدب المصرى على أنواعه فى الأغراض ، وألوانه فى الأساليب ، أدركت فى يسر سر انطباع أدبائنا على هذه الأنواع فى الأغراض والألوان فى الأساليب ، لأن مثل هذا السحر فى البيان العربى الممتاز مما لا يقوى على رده ومقاومته الأدباء الراسخون فى الأدب وصنعة البيان ، فكيف بمن هم حديثو عهد بالأدب ومزاولة الكتابة ؟ ولأدركت فى يسر كذلك أن هذه الثمرة من تلك الشجرة ، ولتنبأت لنهضتنا الأدبية المباركة هذه بعاقبة تصير الهلال قمراً ، والفجر صبحاً ، والليل نهاراً . أولم تسر النهضة الأدبية المصرية فى بدايتها على مثل هذه الدرجات من التقدم حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من مكان ملحوظ ومجد باهر فى عالم الأدب ؟ فكذلك سيكون شأننا نحن فى المستقبل القريب إن شاء الله .

(١) كان الفساد فى نواح غير نواحى الثقافة والأدب ، ولذا لم نر لزاماً هنا موضعاً

ويتجلى لك بوضوح تام شغف شبابنا المتأدب بالأدب المصرى المعاصر فى تأثر بعضهم بأساليب بعض أئمة البيان هناك تأثراً تم عليه أساليبهم وتفضحه ألسنتهم مفتخرة ! فمنهم من يقلد الدكتور هيكل ، ومنهم من يحاكى الدكتور طه ، والأستاذ الزيات ، والأستاذ المازنى ، ويشغف بأدب هؤلاء وغيرهم ، حتى لا يجد غضاضة أن يفخر على غيره بأنه يملك القدرة التى تمكنه من تقليد أسلوب أحد المذكورين أو غيره فى ما يكتب للصحف والمجلات . ولو سكت — عفا الله عنه — لدل من نفسه الفرعُ على أصله من غير تنبيه أو لفت نظر ! على أن هذا ليس فيه لفاخر فضل ، بقدر ما فيه من عيب واضح ، وضلال فاضح .

ولا أنسى بجانب هذا أن أذكر أن لنا أدباء بالمعنى الصحيح ، وأن لهؤلاء الأدباء أقداماً راسخة فى الأدب على ألوانه وأوضاعه ، وأنهم قد أوتوا من حسن البيان وسحره ، وقوة التعبير وفصاحة الأسلوب وخلوصه من الشوائب قدراً يخولهم الوقوف مع كبار أدباء العربية في العالم العربى ، وإن آثارهم التى تطالعنا بها صحفنا المحلية كل يوم ، أو الكتب التى أخرجوها للناس — وهى قليلة — من بضع سنين إلى اليوم ، تشهد بهذه الحقيقة الواقعة ، وتشهد فوق ذلك بأنهم لا يقلدون غيرهم ، ولا يتأثرون سواهم فى أسلوب أو تعبير أو فكرة ، إلا إذا جاء ذلك عن غير قصد ، لأنهم يريدون لأدبهم حياة ، ولأمتهم بقاء ومكاناً ملحوظاً تحت الشمس ، ولا يتأتى لهم ذلك ، إلا إذا كانوا كذلك ، والفضل فى ذلك راجع إلى حسن توجيه الأدب المصرى ورسمه لنا الطريق التى يجب على أدبائنا سلوكها كى تكون نهضتنا الأدبية نهضة بالمعنى الصحيح لقيامها على أمتن الدعائم ، وأقوى الأسس التى يشاد عليها بناء نهضة أدبية لأمة متيقظة طامحة إلى المجد متطلعة إلى العلاء .

وبعد ، فإن الأثر الأدبى المصرى فى الأدب السودانى المعاصر أثر واضح لا يُنكر أو يخفى على ذى بصيرة وبصر للأسباب المذكورة آنفاً ، وهى أسباب قوية حرية أن توجهنا توجيهاً رشيداً نحو العلم والأدب إن أحسنا الاسترشاد بها والتهدى بهديها ، ولكن لا بد للطفل من أن يقلد أباه بادئ ذى بدء حتى يكبر فيرسم لنفسه طريقاً فى الحياة ليسير عليه ، ولعلنا نجتاز الآن — فى ثبات وهدى من أبصارنا وبصائرنا — هذه المرحلة

(السودان : الجزيرة أبا) بشرى الصيد أمين

أحـــلام «المنصورة»

للأستاذ صالح جودت

آه ممّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يومَ وَدَّعْتُكِ وَدَّعْتُ شَبَابِى !
أين أحلامى على تلك الروابى ؟ ذابت الأحلامُ فى قلبى المذابِ

لى حبيبٌ فيكِ أفديه بعُمرى
سُمْرَةُ النيل على خدّيه تجرى
هو إلهامى وأحلامى وشعرى
ونعيمى بين عينيه وسُكرى
كان عند الليلة الظلماء بدرى

وله نجواى فى دُنيا اغترابى يا ترى يذكرنى بعد الغيابِ ؟
آه ممّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يومَ وَدَّعْتُكِ وَدَّعْتُ شَبَابِى !

يا عروس النيل والبحر الصغيرِ
حَدِّثى عن مَلِكِ الغرب الغريرِ
يومَ أنْ جاءكِ فى ذُل الأسيرِ
لِفَتًى من آل أَيُّوبَ أميرِ
ذِكْرُهُ لا زال نفّاحَ العبيرِ

وَهَبَ النصرَ إلى الأُسْدِ الغِضَابِ مِنْ بَنِى (المنصورة) الغُرِّ الأوابى
آه ممّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يوم ودعتك ودعت شبابى !

يا مُنَى الشرق وباريسَ الجَنُوبِ
مَنْ كأبنائكِ فى غَزْوِ الشعوب
شهداء المجـد أبطال الحروب
وكفاداتك فى غَزْوِ القلوب
بالعيون السُّودِ واللحظ اللَّعوب

المنى بَعْدَكِ مِنْ وَهْمِ السَّرَابِ والصِّبَى فى غير لُقْياكِ تصابى
آه ممّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يوم ودعتك ودعت شبابى !

قد صحبتُ النيل من فجر الصعيدِ
لرشيد وإلى أُخْتِ رشـيد
ما وعى لحنى ولا غنى نشيدى
غيرَ غاداتك فى الخطو الوئيد
حين يَخْطُرْنَ على النيل السعيد

بالوجوه السُّمْح كالنور المذابِ يتهادَيْنَ بمسول الذُّعَابِ
آه ممّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يوم ودعتك ودعت شبانى !